مكية الجزء الثلاثون سورة التين آياتها ٨

سُورَةُ التِّينِ، مَكِّيَّةٌ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾﴾

قال تعالى: ﴿وَالتِّينِ﴾ أقسم الله عَزَّوَجَلَّ بالتين، وهو الشجرة المعروفة التي تسمى في بعض البلدان: بالبلس التركي، ومن عجيب شأنها أنه لا نوى فيها صلب، ويمكن أن تُدَّخر، وهي طعام وعلاج.

﴿وَالزَّيْتُونِ﴾ وهو الشجرة المعروفة، وأصل زراعتها في الشام، وهي شجرة مباركة، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور:٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المؤمنون:٢٠] وقال بعض أهل العلم: بأن «التين والزيتون» المراد بها دمشق، وقيل: بيت المقدس، وقيل: جبل يقال له التين والزيتون، والمعنى الأول أصح.

﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ جبل الطور الذي أوحى الله فيه إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالنبوة والرسالة. والطور: هو كل جبل مغطى بالشجر.

﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ أَيْ: مكة التي حرمها الله عَزَّوَجَلَّ، وأمَّنها شرعًا، وفي هذا القسم إقسام من الله عَزَّوَجَلَّ بثلاثة بلدان، كان في كل بلد منها رسول من أولي العزم من الرسل:

❖ **الأول في قوله:** ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾، إقسام ببلد الشام وبيت المقدس، وهو المكان الذي بعث فيه عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

❖ **الثاني في قوله:** ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ إقسام بالجبل الذي أوحى الله فيه إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

❖ **الثالث في قوله:** ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ هو المكان الذي أوحى الله فيه إلى محمد ﷺ.

وهؤلاء الرسل هم أولوا العزم من الرسل، الذين قال الله عنهم: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥]، وهم: محمد ﷺ، وهو أفضلهم، ويليه في الفضل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ويليهما في الفضل موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ثم عيسى ونوح عليهم السلام، والله أعلم.

واستدل العلماء على أنهم المقصودون بالآية بقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ [الأحزاب:٧].

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ هذا هو المقسم عليه أن الله عَزَّوَجَلَّ خلق هذا الإنسان في أكمل هيئة وأحسن صفة، ولو تأملتم جميع الحيوان لرأيتم أنه يعجز عن تغطية سوءته إلا الإنسان؛ فأن الله عَزَّوَجَلَّ أكرمه بتغطية عورته، وأكرمه بلسان يفصح به عما في مكنونه، وأكرمه أن جعل له السمع والبصر والفؤاد، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل:٧٨]، وحملهم في البر والبحر بخلاف غيره ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الإسراء:٧٠]، وميزه بالعقل دون سواه من الحيوان، وهذه مكرمة عظيمة، إلى غير ذلك من الميزات التي جعلها الله عَزَّوَجَلَّ لهذا المخلوق المكلف، فخلقه في أكمل هيئة وصفة.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ فأسفل سافلين الصحيح أنها النار فرده الله إليها، وبئس القرار، ولم يسلم من العودة إلى أسفل السافلين إلا خلص المؤمنين، ففي حديث الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في قصة الفاجر والكافر «**فَيَقُولُ اللَّهُ** عَزَّوَجَلَّ: **اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ، فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا**»(١)، فبعد أن كان معظمًا في الدنيا مبجلًا محترمًا صار في أسفل سافلين، عنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ النَّاسِ، يَعْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الصَّغَارِ، حَتَّى يَدْخُلُوا سِجْنًا فِي جَهَنَّمَ، يُقَالُ لَهُ: بُولَسُ، فَتَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ؛ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ**»(٢). قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء:١٤٥]، أَيْ: معينًا وظهيرًا.

وقيل: ﴿رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ أَيْ: إلى أرذل العمر، لكن هذا القول لا يستقيم؛ لأن كثيرًا

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤).

(٢) أخرجه أحمد (٦٦٧٧).

من المؤمنين يصابون بأرذل العمر، وربما وقع لهم الهرم وعادوا إلى ضعف الحال، ويرميهم الأطفال بالبعر، ويضحك عليهم النساء والولدان.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ أَيْ: استثنى الذين أقروا بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا، واستجابوا لأمر الله عَزَّوَجَلَّ وأمر رسوله ﷺ.

﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ اعتقدوا الإيمان وبادروا إلى العمل، وهذا دليل لمذهب أهل الحق في دخول الأعمال في مسمى الإيمان، فالصلاة، والحج، والزكاة، وجميع أنواع البر من الإيمان ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة:١٧٧]، فالمؤمن المبادر بالعمل الصالح حياته طيبة ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:٩٧].

﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ لهم أجر غير منقطع، مستمر كقوله: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الرعد:٣٥]، وقوله: ﴿ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الواقعة:٣٣]، وقوله: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [ق:٣٥]، فأكرم نفسك أيها المؤمن بامتثال أمر الله عَزَّوَجَلَّ حتى تكون من هذا الصنف ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يونس:٦٢]. ولو كان أجرهم مقطوع لوقع عليهم الخوف والحزن من زوال هذا النعيم، لكن كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الكهف:١٠٧-١٠٨]. وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [هود:١٠٨]، وهذا الأجر هو فضل من الله عَزَّوَجَلَّ سببه العمل فليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني تقول: أنا مؤمن بلسانك وأنت مفرط في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ ومضيع لحقه أو تقول: الإيمان في القلب وأنت مضيع لحق الله عَزَّوَجَلَّ، بل الإيمان في القلب وفي اللسان وفي الجوارح.

﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴾ أَيْ: أيها الإنسان المعرض المكذب باليوم الآخر ما الذي يكذبك

بالجزاء؛ لأن الدين هو الجزاء، وقال بعضهم: أن الخطاب لمحمد، وهذا قول ضعيف جدا؛ فإن النبي ﷺ من المقرين بالبعث والنشور، والمحققين للإيمان بالله وما يتعلق بذلك على أكمل الوجوه، وما نحن إلا متبعون له مقتفون لأثره، ولكن هذا خطاب للمعرضين. وما يحملك على التكذيب بالجزاء والبعث بعد الموت مع أن الله هو الذي خلقك من العدم: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [القيامة:٣٧-٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [يس:٧٨-٧٩].

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ أليس الله هو الحاكم الحكيم، الذي يقضي ويفعل ما يشاء، لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه، ومن حكمته: أن يعلي درجات المؤمنين الموحدين، وأن يذل المشركين والمنددين، ومن حكمته: أن يجازي المؤمن بإحسانه، ويضاعف له المثوبة كرمًا وفضلًا منه، ويجازي الكافر بأنه يرده إلى أسفل السافلين؛ لأنه رضي بذلك حين أبى أن يكون عبدًا لله عَزَّوَجَلَّ وكان عبدًا لغير الله عَزَّوَجَلَّ، فرده الله الى السفل المطلق الذي لا يمكن أن يخرج منه إلى غيره، وجاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ مِنْكُمْ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ، فَانْتَهَى إِلَى آخِرِهَا: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾﴾** [التين:٨]، **فَلْيَقُلْ: بَلَى، وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ، وَمَنْ قَرَأَ: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾﴾** [القيامة:١]، **فَانْتَهَى إِلَى ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾** [القيامة:٤٠]، **فَلْيَقُلْ: بَلَى، وَمَنْ قَرَأَ: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾** [المرسلات:١]، **فَبَلَغَ: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾** [المرسلات:٥٠]، **فَلْيَقُلْ: آمَنَّا بِاللَّهِ**»، قَالَ إِسْمَاعِيلُ: ذَهَبْتُ أُعِيدُ عَلَى الرَّجُلِ الْأَعْرَابِيِّ، وَأَنْظُرُ لَعَلَّهُ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، أَتَظُنُّ أَنِّي لَمْ أَحْفَظْهُ، لَقَدْ حَجَجْتُ سِتِّينَ حَجَّةً، مَا مِنْهَا حَجَّةٌ إِلَّا وَأَنَا أَعْرِفُ الْبَعِيرَ الَّذِي حَجَجْتُ عَلَيْهِ(١)، فهو حديث لا يثبت عن النبي ﷺ، لإبهام الراوي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والله أعلم.

والحمد لله رب العالمين.

(١) أخرجه أبو داود (٨٨٧).